آليات الاستراتيجية الإقناعية في الخطاب القرآني -نماذج مختارة-

Mechanisms of persuasive strategy in the Quranic discourse - -Selected models

د صارة مزياني *
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)
mezainisara@gmail.com

د.شعيب زياد
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي (الجزائر)
Chouaib.ziad@univ-oeb.dz

تاريخ الارسال:2023/05/24	تاريخ التقييم:2023/06/18	تاريخ القبول:2023/06/23

الملخص:

نقف في هذا المقال عند إحدى استراتيجيات التخاطب التي لا يخلو منها أي خطاب وهي الاستراتيجية الإقناعية ، وفق منهج لساني تداولي، وقد ركزنا بالتحديد على الآليات والوسائل اللغوية والبلاغية لهذه الاستراتيجية في الخطاب القرآني باعتباره خطاب إقناع بالدرجة الأولى لما يتميز به من خصوصية في الطرح، محاولين الإجابة عن التساؤلات الكثيرة التي يفرضها الموضوع وهي: كيف تجلت الاستراتيجية الإقناعية في الخطاب القرآني وما العوامل المتحكمة فيها؟

كلمات مفتاحية:

الاستراتيجية الإقناعية؛ التداولية، الخطاب القرآني، الآليات البلاغية.

Abstract:

In this article, we stand at one of the discourse strategies that are not devoid of any discourse, which is the persuasion strategy, according to a linguistic approach, which is the deliberative approach Trying to answer the questions posed by the topic, including how the persuasive strategy was manifested in the Quranic discourse and what are the controlling factors?

Keywords :

persuasive strategy; Pragmatics, Quranic discourse, rhetorical mechanisms.

*المؤلف المراسل:

1.مقدمة:

يسعى كل مرسل من خلال خطابه إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، وذلك عبر استعمال اللغة بكيفيات مختلفة تتناسب مع مقتضيات السياق، من بين هذه الأهداف إقناع المرسل إليه وحمله على فعل شيء ما أو التخلي عنه دون إكراه؛ ومنه فالإقناع هو "إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي"[1]، والتأثير فيه على مستوى تفكيره أو معتقداته باستغلال وسائل متنوعة ومتعددة.

وبناءً على معيار الهدف من الخطاب-كما ذكرنا سابقا- تتأسس استراتيجية خطابية تعرف بالاستراتيجية الإقناعية، "إذ تكتسب اسمها من هدف الخطاب، وتختلف الاستراتيجيات التي تهتم في ذلك من ناحية العلاقة بين طرفي الخطاب أو من ناحية تجسيدها لشكل الخطاب اللغوي كما تختلف الآليات والأدوات اللغوية، وذلك لاختلاف الحقول التي يمارس فيها الاقناع"[2]، وتبنى هذه الاستراتيجية على افتراضات مسبقة وخطابات متوقعة، حيث يتعين على مرسل الخطاب أن يراعي الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه من جهة، وأيضا الوسائل والآليات الإقناعية التي تساعده في تحقيق ذلك الهدف و التي من شأنها أن تجعل متلقي يقبل بمضمون الخطاب الإقناعي من جهة أخرى .

وهذه الآليات التي يستند إليها المرسل لتحقيق الإقناع هي آليات لغوية تتجسد باستعمال الخطاب بوصفه لغة طبيعية؛ باعتبار أن "اللغة تحمل في بنيتها بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية" [3]، ولعل من أهم الآليات التي يعتمد عليها المرسل قصد الإقناع و التأثير"الحجاج" فهو"الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللغة فيها، وتتجسد عبرها استراتيجية الإقناع"[4] .

2. مفهوم الحجاج:

تعدد المفهوم الاصطلاحي للحجاج نظرا لتعدد الحقول المعرفية التي تناولته حيث وقف البلاغيون الجدد أمثال "بيرلمان "Perlman و"تيتيكا "Tyteca عند توضيح أطر الحجاج وتعريفه موضوعا وغاية فحصرا،موضوعه في: "درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[5] ، وربطا غايته" بجعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل

يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو الإمساك عنه أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"[6] ، إن الخطاب الإقناعي عند "بيرلمان و"تيتيكا" هو خطاب يتأسس على مدى قدرة منتج الخطاب في بناء نص إقناعي من خلال توظيف تقنيات حجاجية مختلفة تجعل المتلقي يذعن لإنجاز العمل المطلوب أو تركه وعلى هذا الأساس يتوقف نجاح الخطاب الإقناعي.

وإذا كان كل من "بيرلمان Perlman" و"تيتكا Tyteca " قد اشتغلا على هذا المبحث برؤية بلاغية، فإن " أوزفالد ديكرو Oswald Ducrot" قد اهتم بالوسائل اللغوية التي تمدنا بها اللغة لتحقيق أهداف حجاجية، ومن ثم فنظريته الحجاجية هي: "نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها "أننا نتكلم عامة بقصد التأثير"[7] ، إن هذه النظرية تهدف إلى توضيح قاعدة أساسية -ذكرناها سابقا- مفادها أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، بمعنى أن "هناك مؤشرات عديدة لهذه الوظيفة في بنية الأقوال نفسها" [8]، وكون اللغة لها وظيفة حجاجية فهذا يؤكد أن " التسلسلات الخطابية محددة، لا بواسطة الوقائع المعبر عنها داخل الأقوال فقط، ولكنها محددة أيضا وأساسا بواسطة بنية هذه الأقوال نفسها، وبواسطة المواد اللغوية التي تم توظيفها وتشغيلها"[9] .

وبالنسبة للدراسات العربية المعاصرة فيعد "طه عبد الرحمن" من الباحثين الذين كانت أعماله بارزة في الحجاج ويظهر ذلك من خلال مؤلفاته الكثيرة في هذا المجال من أهمها "اللسان والميزان" حيث عرف فيه الحجاج بأنه "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليه"[10]، وقد رأى أن الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية بناء على أنه لا خطاب بغير حجاج[11]، من خلال هذه التعاريف المختلفة للحجاج (غربية، عربية)؛ يتضح أن الحجاج هو نظرية تقوم على توظيف آليات وتقنيات متعددة في سياقات خطابية متنوعة بهدف التأثير والإقناع.

ويتجسد الحجاج باعتباره أبرز تقنية من تقنيات الإقناع في هذه الاستراتيجية عبر توظيف آليات وحجج تتلاءم مع سياق الخطاب من جهة "لأن السياق هو الكفيل بتسويغ

الحجج الواردة في الخطاب من عدمها"[12]، ومن جهة أخرى يكون أيضا ملائما مع طبيعة المرسل إليه لأن اختيار الحجج وترتيب أولويتها تتوقف على معرفة المرسل إليه، بالإضافة إلى ذلك يجب أن تتوفر المعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب، مما يسوغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل أو إمكانية مناقشتها أو تفنيدها، فهذه الضوابط كفيلة بأن تحقق عملية الإقناع.

4- مسوغات استعمال الاستراتيجية الإقناعية:

لكل استراتيجية دواع ترجح استعمالها أكثر من استراتيجية أخرى في موقف معين، ومن الدواعي التي تحمل المرسل على اعتماد الاستراتيجية الإقناعية دون غيرها من الاستراتيجيات نذكر:

- قوة تأثيرها في المرسل إليه دون فرض للرأي، وإنما تنتج من اقتناع المرسل إليه بتأثير من المرسل.
- تنامي الخطاب عن طريق استعمال الحجاج بين الطرفين.
- الرغبة في حصول الإقناع من طرف المرسل الذي أصبح أكثر ميولا لهذه الاستراتيجية أكثر من غيرها، حتى لو كان صاحب سلطة، وذلك لتغيير تفكير المرسل إليه وثقافته.
- سلطة الإقناع عند المرسل إذا استطاع إقناع المرسل إليه، والوصول بذلك إلى نجاح الاستراتيجية وتحقيق الغاية.
- شمولية هذه الاستراتيجية، لأنها تمارس على جميع المستويات والأصعدة باختلاف الطبقات الاجتماعية والفئات العمرية والجنسية.
- تحقيقها للنتائج التربوية من خلال إقامة الحجة وإقناع المرسل إليه بما يفيد تربويا.
- عدم تسليم المرسل إليه بنتائج المرسل، مما يضطر هذا الأخير لاختيار استراتيجية الإقناع.
- خشية سوء تأويل الخطاب.
- عدم الاتفاق حول قيمة معينة، أو التسليم من أحد طرفي الخطاب للآخر[13].

للاستراتيجية الإقناعية آليات وأدوات لغوية متنوعة يعمد المرسل إلى توظيفها لتحقيق هدفه الخطابي، وهذه الأدوات تختلف باختلاف المجالات التي يستعمل فيها الإقناع، حيث

يختار المرسل حججه بما يتناسب مع سياق خطابه، ويجب الإشارة إلى أن هذه الآليات اللغوية "ليست هي الحجج بعينها، كما أنها لا تستوعبها كلها، وإنما هذه الأدوات هي قوالب تنظم العلاقات بين الحجج والنتائج أو تعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السياق"[14].

الاستراتيجية الإقناعية في القران الكريم:

يعد الخطاب القرآني خطابا إقناعيا بامتياز وذلك "لما يحتويه من معطيات جعلته خطابا حجاجيا إقناعيا وما جعل الحجاج يصيب كثيرا من العناصر اللغوية فيه مثل: الكلمات والتراكيب والصور"[15]، فهو خطاب الاهي يخاطب العقل البشري ويدعوه إلى التفكير ليصل إلى القناعة ويصبح قادرا على التمييز والمقايسة والاستنتاج والمقارنة، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا**﴾ سبأ:46، فالقناعة تأتي ثمرة للدليل والبرهان المتولد من النظر، والقرآن الكريم كان سببا في استنفار العقل، وتشغيل الحواس، وتحريك القوى الفاعلة في الإنسان، وتفجير الطاقات الكامنة فيه، وبناء القناعة العقلية والوصول إلى الصواب"[16] ، إذن فمنهج القرآن الكريم منهج إقناعي لا يتصل بالإكراه من أي وجه، إذ لا فائدة ترجى من مكره غير مقتنع، فالإنسان تحركه بواعث من داخل نفسه يوجدها الاقتناع العقلي والقلبي"[17].

ومن أجل هذا الغرض استند القرآن الكريم على استراتيجية اقناعية تجسدت من خلال آليات لغوية وبلاغية متنوعة سنعرض لبعض منها في هذا المقام:

الحجج المؤسسة على الآليات اللغوية في الخطاب القرآني:

ألفاظ التعليل:

التعليل كما جاء في مقاييس اللغة لابن فارس " (عل) العين واللام أصول ثلاثة صحيحة؛ أحدهما تكرر أو تكرير، والآخر عائق يعوق، والثالث ضعف في الشيء"[18]، و التعليل" سقي بعد سقي، وجني الثمرة مرة بعد أخرى، وعل الضارب المضروب إذا تابع عليه الضرب"[19] ، نلاحظ أن معاني التعليل لغة لا تخرج عن معنى التكرار والضعف في الشيء،

والتعليل اصطلاحا: " أن يذكر الشيء معللا فإنه أبلغ من ذكره بلا علة لوجهين:

- الأول : أن العلة المنصوصة قاضية بعموم المعلول ولهذا اعترفت الظاهرية بالقياس في العلة المنصوصة.
- والثاني: أن النفوي تنبعث إلى نقل الأحكام المعللة بخلاف غيرها وغالب التعليل في القرآن فهو على تقدير جواب سؤال اقتصته الجملة الأولى وهو سؤال عن العلة"[20]

تضمن القرآن الكريم ألفاظا لغوية تعليلية ساهمت في تركيب الخطاب الإقناعي، وبناء حججه فيه، ومن هذه الأدوات :

أ/ المفعول لأجله:

هو مصدر يبين سبب ما قبله (أي علته) ويشارك عامله في الوقت، وفي فاعله وله ثلاثة أقسام: مجرد من "أل" والإضافة، ومضاف، ومقترن بأل وهذا القسم دقيق في استعماله وفهمه، قليل التداول قديما وحديثا، إذا استوفى شروطه جاز نصبه مباشرة وجاز جره بحروف الجر التي تفيد التعليل"[21].

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ سورة البقرة الآية 109.

تبين لنا هذه الآية الكريمة أن أهل الكتاب تمنوا أن ينتقل المؤمنون من الإيمان إلى الكفر بعد ما ظهر لهم أن المؤمنين على حق باتباعهم دين محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا لم يكن له من سبب أو علة سوى الحسد، الذي تملك نفوسهم واستحوذ على قلوبهم، فجعلهم يحسدون المؤمنين على نعمة الإيمان، ويتمنون التحول عنه إلى الكفر اذا فالمفعول لأجله **حسدا** كان علة لتمني نقل المؤمنين إلى الكفر، فهذه الحجة التي تضمنتها الآية الكريمة كانت لإقناع المؤمنين وتحذيرهم من السلوكات التي يتميز بها الكفار من أهل الكتاب وخاصة الحسد والحقد الذي تكون نتائجه وخيمة.

كما ورود أيضا لفظ التعليل مفعولا لأجله في قوله تعالى: ﴿**هو الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ۖ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ**

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۗ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ آل عمران الآية07.

في هذه الآية الكريمة أراد الله تعالى أن يبين لنا أنه هو وحده الذي أنزل علينا القرآن فيه آيات محكمات دلالتها واضحة ولا التباس فيها على الناس، هن أصل الكتاب الذي يرجع إليه عند الاشتباه، كما أن هناك آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس لا يتعين المراد منها إلا بضمنها إلى المحكم، وأما الذين في قلوبهم زيغ يغلون في طلب التأويل للمتشابه، فيقعون على التأويل المظلم، فذلك ابتغاء الفتنة، لأن من غلا في الدين، وطلب تأويل ما لا يعلمه إلا الله، يقع في الفتنة، وخير الدين: النمط الأوسط الذي ليس فيه غلو ولا تقصير[22].

وردت ابتغاء هنا مفعولا لأجله ومعناه: وطلب تأويله على منازعهم الفاسدة، هذا فيما له تأويل حسن وإن كان مما لا يتأول بل يوقف فيه كالكلام في معنى الروح ونحوه، فنفس طلب تأويله هو اتباع ما تشابه"[23]، فالذين في قلوبهم ظلال وخروج عن الحق يأخذون منه بالمتشابه ويحرفونه حسب مقاصدهم، وأما المحكم فلا يقدرون عليه، وبالتالي هو حجة عليهم، و"ابتغاء الفتنة" أي الإظلال لأتباعهم، وهذا حجة لهم لا عليهم.

ب/ لام التعليل:

قد يستعمل المرسل لام التعليل لربط النتائج بأسبابها، حيث ذكر "ابن يعيش" أن اللام قد تدخل على المصادر التي هي أغراض الفاعلين في أفعالهم...فكأنها دخلت لإفادة أن ذلك الغرض من إيقاع الفعل المتقدم"[24].

والشاهد من القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ سورة البقرة:79

جاء الرابط الحجاجي اللام ليعلل سبب لجوء الأحبار من اليهود إلى تحريف وتبديل الكتاب المبين وكذا تقديم تأويلات مخالفة لما اشتملت عليه الكتب السماوية، ثم يقولون

هذا من عند الله والنتيجة هي ليأخذوا مقابل ذلك غرضا دنيويا يقول الألوسي: " لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا" أي ليحصلوا بما أشاروا إليه غرضا من أغراض الدنيا الدنيئة، وهو وإن جل أقل قليل بالنسبة إلى ما استوجبوه من العذاب الدائم، وحرموه من الثواب المقيم، وهو علة للقول"[25].

توظيف آلية الوصف.

إن الوصف هو من الآليات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه، يعتمد عليه من خلال أدواته اللغوية المتمثلة في: الصفة واسم الفاعل واسم المفعول.

أ/ الصفة:

ويتمثل دورها الحجاجي في ما يدرجه المرسل من نعوت وأوصاف في سبيل إقناع المرسل إليه، ولتكون الصفة أداة فاعلة في الحجاج يجب على المرسل أن لا يكتفي بتوظيف معناها المعجمي بل يبتغي التقويم والتصنيف واقتراح النتائج التي هي من صلب خصائص الخطاب الطبيعي في الممارسة الحجاجية، ليمارس المرسل أكثر من فعل واحد، بالتصنيف وبتوجيه انتباه المرسل إليه إلى ما يريد أن يقنعه به في حجاجه[26].

ومثال ذلك من االقرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا ۚ وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾ سورة الأحزاب 69.

والشاهد في هذه الآية الكريمة كلمة **وجيها** وهي صفة مشبهة تكمن حجاجيتها في: أن الله تعالى أراد أن يبرأ موسى عليه السلام مما قالوا فيه بني إسرائيل، فموسى عليه السلام كان رجلا حييا ستيرا فآذاه بني اسرائيل وقالوا أنه ما يستتر هذا الستر إلا من عيب في جلده و..، فبرأه الله تعالى حيث جعله وجيها أي ذا جاه عظيم، ومكانة سامية، ومنزلة عالية.

وفي قوله تعالى أيضا: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾ سورة هود: 96.

ومحل الشاهد هنا كلمة **مبين** تكمن حجاجيتها في أن الله أيد موسى عليه السلام بمعجزات دالة على صدقه، والسلطان المبين الحجة الواضحة والبرهان الظاهر القوي، حتى يقتنع بنو اسرائيل ويؤمنوا بما جاء به لأن صاحب الحجة والبرهان على ما يدعى، يقهر ويغلب من لا حجة ولا برهان له، لهذا فالله تعالى لم يتوقف عند معجزات موسى عليه السلام وسلطان فقط، إنما دعم قوته الحجاجية في هذا الخطاب بأنه مبين وواضح وهي حجة عقلية تدل على توحيد الله وتبطل كل من ادعى غير ذلك.

اسم الفاعل:

هو اسم مشتق يدل على معنى مجرد حادث، وعلى فاعله، فلابد أن يشتمل على أمرين هما: المعنى المجرد الحادث، وفاعله، ودلالة اسم الفاعل على المعنى المجرد الحادث، أغلبية لأنه قد يدل على المعنى الدائم [27]. ويعد اسم الفاعل من الأدوات اللغوية للوصف التي يقدمها المرسل في خطابه باعتبارها" حجة يستند إليها من أجل إصدار الحكم الذي يريد لتنبني عليه النتيجة التي يرومها"[28]

وقد ورد اسم الفاعل في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾سورة غافر: 28-29.

محل الشاهد هنا: "**وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**"

"ويعني إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به فمن العقل والراي أن تتكروه ونفسه فلا تؤذوه، فإن يك كاذبا فإن الله سبحانه سيجازيه على كذبه وإن يكن صادقا وقد آذيتموه يصبكم بعض الذي يعدكم فإنه يتوعدكم إن خالفتموه بعذاب في الدنيا والآخرة، فينبغي أن لا تتعرضوا له بل اتركوه وشأنه."[29]

كلمة صادقا وكاذبا في هذه الآية الكريمة جاءتا لإلزام الحجة على فرعون ومن معه حتى لا يؤذوا موسى عليه السلام وقد قدم الرجل -الذي كتم إيمانه- في خطابه الإقناعي صفه الكذب على الصدق حتى لا يعلم فرعون ومن معه أنه مع موسى عليه السلام فيعرضون عنه ولهذا أظهر عكس ذلك بغية إقناعهم بأنه لا فائدة من قتل موسى عليه السلام، وهذه النتيجة الحجاجية التي أراد الرجل تحقيقها من خلال إدراجه لصيغتي إسم الفاعل صادقا وكاذبا.

اسم المفعول:

و هو اسم مشتق يدل على معنى مجرد دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلابد أن يدل على الأمرين معا، وهما: المعنى المجرد وصاحبه الذي وقع عليه"[30]، ويصنف هو الآخر على أنه من الأوصاف الحجاجية المستعملة في الخطاب الإقناعي، وقد ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾ سورة الإسراء : 36.

محل الشاهد هنا في كلمة **مسؤولا** وتكمن حجاجيتها في أن الله تعالى نهى الانسان عن تتبع ما لاعلم له به، لأنه مسؤول عما استعمل فيه سمعه وبصره وفؤاده.بل لا بد من التثبت في كل الأمور قبل الإقدام على قولها أو فعلها.

توظيف الاستفهام:

يعد الاستفهام من أهم الأفعال اللغوية الحجاجية، حيث يستخدمه المرسل باعتباره حجة في مواضع متعددة من خطابه من أجل التأثير في المتلقي وإلزامه باتخاذ موقف معين، وفي هذا المقام نستحضر قصة ابراهيم عليه السلام عندما دعا قومه لترك عبادة الأصنام وبدأ باستدراجهم ليلقي حجته عليهم وبدأ ذلك بسؤال ألقاه على قومه وأبيه : ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ ما تَعْبُدُونَ**﴾، "فالسؤال بكلمة ما هنا أنه لطلب شرح ماهية المسؤول عنه، والإشارة إلى التماثيل لزيادة كشف معناها الدال على انحطاطها عن رتبة الألوهية، والتعبير عنها بالتماثيل يسلب عنها الاستقلال الذاتي"[31]، فكان رد قومه بعد أن سألهم عن حال هذه الأصنام﴿ **قَالَ هَل يَسمَعُونَكُم إِذ تَدعُونَ * أَو يَنفَعُونَكُم أَو يَضُرُّونَ * قَالُوا بَل وَجَدنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفعَلُونَ**﴾ فكانت حجتهم ضعيفة واعترفوا بأن أصنامهم لا تفعل شيئا من ذلك وإنما رأوا آبائهم كذلك يفعلون، فهم على آثارهم يهرعون. فالأسئلة تعد أشد إقناعا للمرسل إليه وأقوى حجة عليهم ، ولهذا اعتمد عليها إبراهيم عليه السلام لأنه يدرك مسبقا أن قومه لا يخالفوه إلى حد كبير، في أي إجابة من الإجابات المتوقعة وهذا ما جعله يختار هذا الضرب من الحجاج دون غيره.

2- الحجج المؤسسة على الآليات البلاغية

3-2-1 توظيف الاستعارة:

تدخل الاستعارة ضمن الوسائل اللغوية الأكثر انتشارا التي يستغلها المتكلم بقصد توجيه خطابه، وبقصد تحقيق أهدافه الحجاجية لارتباطها بمقاصد المتكلمين وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية، بل إنها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدا، ما دمنا نسلم بفرضية الطابع المجازي للغة الطبيعية، وما دمنا نعتبر الاستعارة إحدى الخصائص الجوهرية للسان البشري.[32].

ويرى "بيرلمان" أن الاستعارة من أهم آليات الحجاج فهي تؤدي وظيفة إقناعية إلى جانب وظيفتها الجمالية، والفضل يعود إليه في إخراج الاستعارة من حقل الدراسات البلاغية الكلاسيكية إلى حقل البلاغة الجديدة التي ترتكز على الوظيفة الحجاجية للاستعارة ومدى مساهمتها في الإقناع، وقد أشار إلى هذا عبد القاهر الجرجاني بقوله: "أما الاستعارة فإن سبيلها سبيل الكلام المحذوف في أنك إذا رجعت إلى أصله وجدت قائله وهو يثبت أمرا عقليا صحيحا."[33]، وبالتالي فإن الاستعارة التي تؤدي هذا الوظيفة الإقناعية أو ما يسمى "بالاستعارة الحجاجية"[34] فهي "حجة تستخدم في الدفاع عن أطروحة أو عن رأي" وتكمن فعالية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق، إذ تمثل الاستعارة أبلغ وأقوى الآليات رغم اكتناف السياق لكثير من العناصر ويظهر التوجه العلمي للاستعارة في ارتكازها على المستعار منه، إذ تكون الاستعارة أدعى من الحقيقة لتحريك همة المرسل إليه في تقويم الواقع والسلوك، وأن يتعرف على ذلك من المرسل ليكون سبب القبول والتسليم وليس التخييل أو الصنعة اللفظية"[35]، وما نستخلصه إذن هو أن الاستعارة الحجاجية تهدف إلى الإقناع والتأثير في المتلقي حسب ما يقتضيه السياق الخطابي فتكون الاستعارة عبارة عن حجة لنتيجة أو دعوى يريد المرسل أن يقنع بها المتلقي، وذلك من خلال تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي مما يجعله يسلم بما هو مطلوب.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ**﴾ سورة هود: 09.

يخبرنا الله تعالى عن طبيعة الإنسان، بأن الله إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرا منها عليه، والشاهد في هذه الآية الاستعارة المكنية في قوله :" وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ" لأنه في الأصل تناول الشيء بالفم ثم استعير للذات تشبيها لها بما يذاق ثم يزول بسرعة كما تزول الطعوم"[36]، وقد جاءت هذه الاستعارة الحجاجية من أجل تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي وزيادة عاملية الإقناع والتأثير فهي تعد حجة للنتيجة التي أراد الله تعالى أن يخبرنا بها في قوله "إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُور" .

ومثال آخر قوله تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِي ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيرِ سُلطَٰنٍ أَتَىٰهُم كَبُرَ مَقتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار** ﴾ **غافر 35**

والشاهد في هذه الآية هي الاستعارة المكنية في قوله " كَذَٰلِكَ يَطبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّار" حيث شبه الله تعالى قلب المتكبر الجبار بالشيء المادي الذي يطبع عليه، أي أن الذين يخاصمون في آيات الله وحججه لدفعها من غير أن يكون لديهم حجة مقبولة، وهي أمور يشتد بغض الله لها كذلك يطبع على كل متكبر عن توحيد الله وطاعته، فكانت هذه الاستعارة حجة تخدم النتيجة والدعوة التي تضمنتها الآية حيث زادتها وضوحا مما دفع الناس إلى الإيمان والتصديق والاقتناع بما جاء فيها.

توظيف التشبيه:

وهو كذلك من الوسائل البلاغية الإقناعية التي تحفل بها الرسائل التي بين أيدينا ومن أهم أغراضه "الإقناع بفكرة من الأفكار وقد يصل هذا الإقناع إلى مستوى إقامة الحجة البرهانية، وقد يقتصر على مستوى إقامة الحجة الخطابية"[37]، وبالتالي فإن التشبيه يمثل "عاملا مهما يرفد عملية الحجاج ويساعد المرسل على الإقناع"[38]؛ حيث يستعمله هذا الأخير ليكون حجة على إلصاق الصفة بالمشبه به حسب ما يقتضيه سياق الخطاب.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿**وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَ نَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُ وَ كَانَ فِي مَعْزِلٍ يُبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ**﴾ سورة هود 42.

ومعنى الآية أنها تجري بهم في موج يعلو ويرتفع حتى يصير كالجبال في علوها، فهذه صورة تشبيهية تحسيسية أضفت طابعا حجاجي من خلال إحالة ذهن المتلقي إلى العلاقة الموجودة بين المشبه والمشبه به ليستقر في ذهنه ويتمكن من إقناعه بركوب السفينة لكن ابنه أبى أن يركب معه في السفينة ضنا منه الجبل سيعصمه من غضب الله، "لكن الجاج القائم بين النبي وابنه كشف لنا ألا أحد من هؤلاء يستطيع أن يقاوم أدنى مقاومة أمام أمر الله وقدرته"[39].

2-4- تقسيم الكل إلى أجزائه:

يلجأ المرسل إلى تقسيم الحجة الكلية –باعتبارها الأشمل- إلى أجزاء مكونة لها لتكون تلك الأجزاء بمثابة دليل على أقواله، حيث "يوظفها المرسل في خطابه ويحملها بالشحنة الإقناعية التي كانت لها مجتمعة ليحافظ على قوتها الحجاجية"[40].

ومن أمثلة هذه الآلية من القرآن الكريم قوله تعالى" ﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ الأنعام: 79.

يظهر لنا في هذه الآية الكريمة خطاب ابراهيم مع قومه أثناء الاستدلال على وحدانية الله تعالى وهي الحجة الكلية التي أراد أن يصل إليها ابراهيم عليه السلام، وقد دعمها بحجج جزئية عندما قال انى صرفت وجهى وقلبي في المحبة والعبادة لله الذي أوجد وأنشأ السموات والأرض وما أنا من الذين يشركون مع الله آلهة أخرى وبذلك يكون ابراهيم عليه السلام قد ألحق الحجة الكلية بحجج كانت بمثابة أدلة وبراهين ساطعة على وحدانية الله تعالى.

الخاتمة:

وفي ختام هذا الدراسة الموسومة ب " آليات الاستراتيجية الاقناعية في الخطاب القرآني –نماذج مختارة- توصلنا إلى جملة من النتائج التي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

- تجسدت آلية الوصف في الخطاب القرآني من خلال آليات لغوية مختلفة هي(الصفة المشبه، اسم الفاعل، واسم المفعول) ، وقد مثلت هذه الآليات حجة

قوية للمرسل في سياقات مختلفة أفضت إلى تحقيق الغاية المنشودة وهي الإقناع وكذلك توجيه انتباه المخاطبين وتعديل سلوكهم .

- يستدعي التأثير والإقناع في العملية الخطابية آليات بلاغية ولغوية لتحقيقه ولذا نجد الحجاج بأشكاله المختلفة والمتنوعة من أهم ما يميز الخطاب لأن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية وهو ما يميز الخطاب القرآني الذي يعد خطابا إقناعيا بامتياز لعظمته في انتقاء الألفاظ وانسجامها ودقتها في تأدية وتوصيل المعنى.
- تجسدت الاستراتيجية الإقناعية في الخطاب القرآني من خلال آليات لغوية وبلاغية اعتمد عليها المرسل كقوالب نظمت العلاقات بين الحجج والنتائج وأعانت المرسل على تقديم حججه في الشكل الذي يناسب سياق خطابه.
- من الوسائل البلاغية التي استعملها الخطاب القرآني في الاقناع الإستعارة، والتي تعد من أقوى وأبلغ الآليات الحجاجية التي تأثر في المخاطب وذلك من خلال تقريب الصورة إلى ذهن المتلقي مما يجعله يسلم بما هو مطلوب.
- يعد التشبيه أيضا من الآليات الإقناعية البلاغية في الخطاب القرآني استعمل في سياقات مختلفة بوصفه حجة تساهم في رسم تصور مشهدي واضح للمتلقي حتى يستقر في ذهنه وبالتالي اقناعه والتأثير فيه.
- يساهم الاستفهام مهما كانت بنيته في التأثير الذهني للمتلقي، باعتباره وسيلة هامة من وسائل الاقناع والتأثير ودفع المتلقي إلى إعلان موقفه إزاء القضبية المطروحة ، وهو ما تجسد في الخطاب القرآني.

10. قائمة الإحالات:

[1] البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل نص، هنريش بليث، تر: محمد العمري، دار افريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص26.

[2] استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري،دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ط01، 2004، 444.

[3] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة في الطبع، المغرب، ط01، 2006، ص13.

[4] استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري،.ص456.

[5] الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، لبنان، دار الفرابي، ط02، ص27.

[6] المرجع نفسه، ص27.

[7] التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط01، 2006، ص55.

[8] اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص14.

[9] التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، ص57.

[10] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط01، ص213.

[11] المرجع نفسه، ص213.

[12] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص457.

[13] ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص،445، 446.

[14] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 477.

[15] الحجاج : أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج لبيرلمان وتيتيكا، حمادي صمودة، ، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998، ص44.

[16] آليات الإقناع في القرآن الكريم، -دراسة لنماذج لغوية وبلاغية مختارة-، عبد الكريم حاقة، مجلة الشهاب، المجلد 08، العدد01، مارس 2022، ص11.

[17] المرجع نفسه ، ص12.

[18] مقاييس اللغة، ابن فارس، ج04، ص12.

[19] تاج اللغة وصحاح العربية، ج5، ص1773.

[20] البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ج03، ص91.

[21] النحو الوافي، حسن عباس، دار المعارف، مصر، ط03، ج02، ص238.239.

[22] تفسير القرآن، السمعاني، ص295.

[23] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، ج01، ص 402

[24] ابن يعيش الموصلي، شرح المفصل، ج06، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 2001، ص20.

[25] روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ج01، ص303.

[26] ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص487.

[27] النحو الوافي، مرجع سابق، ج03، ص238.239.

[28] استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ص488.

[29] تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)،دار هجر للطباعة و النشر،تح:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1، 2010.

[30] النحو الوافي، مرجع سابق، ج03، ص271.

[31] تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ج16، ص94.

[32] أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص105.

[33] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، ص239.

[34] ابو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص108.

[35] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص496.

[36] إعراب القرآن وبيانه، محي الدين درويش، دار ابن كثير ، سوريا، ط03، ج4، ص321.

[37] عبد الرحمن الميداني، البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم، دمشق، ط01، 1996، ج02، ص168.

[38] سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، ص121.

[39] الميزان في تفسير القرآن، الطبطبائي، ص79.

[40] محمد الأمين طلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط01، 2008، ص129.